مقدمة

حكمة يوسف عليه السلام وإيثاره للمصلحة العامة

درس في الإحسان والموازنة بين المصالح:

لم يعاتب يوسف عليه السلام ساقي الملك على نسيانه له.

أدرك أن الأولوية لإنقاذ الناس من كارثة، حتى لو استمر الظلم الواقع عليه.

بادر بتفسير رؤيا الملك بأمانة وأضاف عليها نصيحة لم تكن في الرؤيا: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾.

أخلاق الأنبياء والمصلحين:

لا يسعون للانتقام الشخصي، بل لدرء المفاسد وتحقيق الخير للأمة.

مثال: رفض النبي ﷺ الدعاء على أهل الطائف، أملًا في هداية ذريتهم.

نقد العقلية الانتقامية (المعادلة الصفرية):

خطر من يتخذ من ظلمه مبررًا لإفساد المجتمع ("ليجوعوا، وليهلكوا، فقد ظلموني!").

الانتقام الأعمى يزيد من معاناة المظلومين والفقراء، بينما ينجو الحكام.

عقلية "إما أن نحيا برفاهية، أو نهلك جميعًا" هي عقلية هدامة لا تفكر في العواقب.

١ كرامة يوسف عليه السلام وإصراره على إثبات البراءة

رفض الخروج من السجن قبل إثبات براءته:

عندما أمر الملك ﴿ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ ﴾، رفض يوسف الخروج فورًا.

أراد إثبات براءته أولًا، لا أن يخرج كمُدانٍ نال عفوًا.

كان يرى أن العدل لا يتجزأ، وأن الحقيقة يجب أن تظهر كاملة.

السجن محطة إيمانية وحماية ربانية:

لم يكن السجن عقوبة، بل حماية له من فتن القصر وفرصة للتقرب إلى الله.

استوى عنده القصر والكوخ، والحرية والسجن، لأنه وجد الطمأنينة بالقرب من الله.

انبهار الملك بشخصية يوسف عليه السلام:

انبهر الملك برجل زاهد في الدنيا، عزيز النفس، لا يطلب شيئًا مقابل إحسانه.

هذا الزهد جعل الملك يزداد رغبة في لقائه واكتشاف سر شخصيته.

٢ حكمة يوسف عليه السلام في التحقيق وظهور الحق

ذكاء يوسف في طلب التحقيق:

أرسل للملك سؤالًا ذكيًا: ﴿ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾.

لم يذكر امرأة العزيز مباشرةً حفاظًا على سمعة زوجها.

ركّز على حادثة "تقطيع الأيدي" لأنها غريبة وتستدعي التحقيق الفوري من المَلك.

حكمة الملك في كشف الحقيقة:

جمع النسوة وواجههن مباشرة بالسؤال عن أصل القضية: ﴿ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾.

لم يسأل عن تقطيع الأيدي لأنه كان قد عرف الحقيقة مسبقًا، وأراد منهن اعترافًا رسميًا.

شهادة النسوة ببراءة يوسف وعصمته:

اضطررن لقول الحقيقة: ﴿ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾.

لم تكن مجرد تبرئة، بل شهادة بكمال خُلقه واستقامته.

٣ التوبة والدروس التربوية من اعتراف امرأة العزيز

ذل المعصية وعزة الطاعة:

انقلب حال امرأة العزيز من سيدة القصر إلى معترفة ذليلة.

اعترافها الصريح: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾.

القواعد التربوية الخالدة من كلامها (على الرأي الراجح):

١ حتمية فشل الخيانة

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾.

بشارة لكل مظلوم ووعيد لكل خائن.

٢ خطورة تبرئة النفس.

﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ﴾.

الاعتراف بالخطأ هو بداية الإصلاح الحقيقي.

أقبح من الذنب تبرير الذنب.

٣ حقيقة النفس البشرية

﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾.

النفس تحتاج لرحمة الله ومجاهدة مستمرة كي تستقيم.

٤ الأمل المفتوح بالتوبة

﴿ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

باب الله مفتوح لمن صدق في توبته.

مراتب النفس الإنسانية:

١ النفس الأمارة بالسوء

تدفع للمعصية وتبررها.

٢ النفس اللوامة

تخطئ لكنها تلوم صاحبها وتؤنبه.

٣ النفس المُطمئنة

زكت بالمجاهدة وأصبحت تسير في الطاعة بيسر.

٤ التمكين في الأرض وقبول المسؤولية للإصلاح

العِوض الإلهي والتمكين ليوسف:

بعد ثبوت براءته، قال له الملك: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾.

لم يخرج من السجن بريئًا فحسب، بل خرج عزيزًا مكرمًا صاحب مكانة وسلطة.

شروط تولي المناصب: الكفاءة والأمانة:

طلب يوسف عليه السلام المنصب لمصلحة الأمة، لا لمنفعة شخصية.

قال: ﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.

حفيظ: أمين على الأموال. عليم: خبير بإدارة الموارد والاقتصاد.

درس مستفاد: لا يكفي الصلاح وحده للمنصب، بل لا بد من الجمع بين القوة (الخبرة) والأمانة (التقوى).

حكم المشاركة في أنظمة قد يشوبها الفساد:

يجوز للمؤمن تولي منصب في نظام غير مثالي، بشرط أن يكون دوره إصلاحيًا، يقلل الشر ويدرأ المفاسد، ولا يعين على الظلم.

٥ العدل الإلهي الكامل والتعلق بالآخرة

العوض الدنيوي والرحمة الإلهية:

مكّن الله ليوسف في الأرض: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

الإحسان هو سبيل نزول رحمة الله التي لا يستطيع أحد منعها.

قاعدة بقاء النفع وزوال الزبد:

﴿وَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾.

العمل الصالح والنفع للناس هو الذي يبقى أثره.

درس مستفاد: يجب أن يتعلق قلب المؤمن بالله وبالآخرة، فهي اليقين المضمون، وألا يجزع لما يفوته في الدنيا.

العِوض الأعظم في الآخرة:

إذا لم يتحقق العدل الكامل في الدنيا، فاليقين يكون في الآخرة ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

العدل الإلهي شامل، والأجور توفى بالكامل يوم القيامة: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.